# أصول الجمال
## في الفن الإسلامي

[illegible]

### تمهيد

[illegible]

[illegible]

لبنان الكبير في التاريخ بقلم

نجيب سليم الدحداح.

*المشرق*، العدد رقم 4، 1 أبريل، 1936

# لبنان الكبير في التاريخ

بقلم نجيب سليم الدحداح

## تمهيد

في شهر اذار الماضي ، اجتمع بعض الاشخاص في احد منازل بيروت ، واطلقوا على اجتماعهم اسم « مؤتمر الساحل والاقضية الاربعة » . ولم يشاؤوا ان تبقى ابحاثهم سرًا دفيناً يمرّ دونه التاريخ ، فدوّنوا اقوالهم في كرّاس صغير . ثم عقبَ هذا الاجتماعَ مؤتمرٌ آخر دُعي « المؤتمر الاسلامي » ولم تكد تختلف شخصيات المجتمعين اولاً عن شخصيات المجتمعين ثانياً .

امـا غاية المؤتمرَين فواحدة ، تبرز لنا من مطالعة كلام احد الحاضرين في افتتاح الاجتماع الاول : « تعلمون ايها السادة اننا في ظروف خطيرة ... ولما كنتم من مفكّري هذه الامة ، ومن مجاهديها المخلصين ، فقد دعوناكم لعقد مؤتمر نقرّر فيه موقفنا نحن ابناء الاقضية والمدن المنسلخة عن أمنا سورية ... »[1] .

وليس قائل هذا الكلام إلا ابناً في الرأي لبعض سياسي دمشق . وهؤلاء لا ينفكون عن المطالبـة بضمّ بيروت ، ووادي التيم ، وبعلبك والبقاع ، ومنطقة صيدا ، ومنطقة طرابلس ، الى سورية مردّدين انهـا « اقضية ومدن منسلخة عن أمها » أُلحقت بلبنان ، ظلماً وعدواناً .

---

١) « مؤتمر الساحل والاقضية الاربعة الذي عقد في دار السيد سليم علي سلام في بيروت» في ١٠ اذار سنة ١٩٣٦ ، ص٣-٤

فهل يكون لبنان بحدوده الحالية بدعةً اتتنا بها مؤتمر الصلح بعد الحرب الكونية ؟

أوَ لا يكون هناك معرفة سابقة لهذه المناطق بلبنان ؟

هـذا ما سوف نراه متصفحين تاريخ بلادنا ، منذ القرن السادس عشر ، لعلّنا نجد شيئاً يصف علاقات المناطق المذكورة بلبنان.

واذا لم نذهب الى ابعد من ذلك ، فلم نذكر فنيقية الممتدة على هـذه السواحل من اللاذقية الى حيفا ، ولا « فنيقية اللبنانية » في عهد الرومان وقد ضمّت عاصمة بني أمية ، ولا بيروت بحكمها في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، أمراء الغرب من اعمال جبل لبنان ؛ اذا لم نفعل ذلك فلكي لا نُتّهم بالبحث عما قدم وزال . ونرجو ايضاً من القرّاء ألّا يروا في ما يلي تاريخاً منظماً للحوادث الواقعة في البلدان التي سنتكلم عنها . فاننا لا نورد هنا الا بعض الحوادث التي رأينا لها صلة بموضوعنا في علاقات هذه البلدان بلبنان.

## لمحة عامة

لما استولى العثمانيون على سورية ولبنان ، سنة ١٥١٥ ، قسموا سورية الى ثلاث ايالات : حلب ، ودمشق ، وطرابلس ؛ واصبح على رأس كلّ منها « بكلربكي » تركي. وتركوا للبنان استقلاله تحت ادارة امرائه ، ولم يلزموه إلا بدفع الاموال الاميرية .

وقد كان يحكم لبنان الامراء آل عساف، وسيفا ، والحرفوش، والمشايخ آل حماده ، والامراء آل تنوخ ، وعلم الدين ، ومعن ، وشهاب . ثم تمكّن المعنيّون، حكّام«جبل الدروز »،اي الشوف والمتن،وخلفاؤهم الشهابيون، من جمع شتات لبنان تحت حكمهم . فتوحّد مدّةً على يد فخر الدين . ثم عاد فانقسم الى المعاملتين : الشمالية ، والجنوبية . وسنة ١٧٧١ جمع نهائياً الامير يوسف الشهابي بين هاتين المعاملتين.

وكان يراقب امراء لبنـان ويوجّه اليهم خلعَ الولاية ، من قبل السلطان العثماني، ولاةُ طرابلس في بلاد جُبيل وتوابعها ، وولاةُ صيدا في بلاد الشوف

وتوابعها ، وولاةُ دمشق في البقاع ووادي التيم .

والآن نرى ما كان من بيروت و« الاقضية الاربعة » في تلك الحقبة .

## بيروت

في ١٦٠٨ ، قدم الى حلب ، الوزير العثماني مراد باشا ، فأرسل اليه الامير فخر الدين المعني الثاني ولدَه الامير علياً . فاستقبله الوزير باكرام ، وقبض منه مبلغاً من المال ، وجدَّد له خلع الولاية على بيروت . وكان عمر عليّ اذ ذاك تسع سنوات[1] .

وفي ١٦١٣ ، اثناء الخلاف الناشب بين رسول الترك ، احمد حافظ باشا ، وبين فخر الدين ، ارسل هـذا الاخير رسالةً الى الوالي العثماني . وكان يحمل الرسالة وفد مؤلف من عدة علماء بينهم اربعة مشايخ من بيروت[2] . وفي غياب فخر الدين عن لبنان ، اذ كان يتنقل في قصور ايطالية ، كان يحكم مكانه ابنه علي . وقد جاءه سنة ١٦١٨ رجلٌ اسمه احمد اغا ، فسلّمه من قبل الصدر الاعظم ، خلع الولاية على سنجق بيروت « كما كان »[3] . وفي ذاك العهد كانت بيروت عاصمة لبنان . فكثيراً ما كان يجمع الامير رجاله في هذه المدينة ويطلب اعوانه اليها . ودونك هذه العبارة الصريحة ، وهي مثال لكثير مثلها في تاريخ الصفدي ، قال المؤرخ : ان فخر الدين « جمع اهل الشوف جميعاً واهل الغرب والجرد والمتن وكسروان الى عنده بمدينة بيروت »[4] سنة ١٦١٩ . وكانت لبيروت اهمية كبرى في نظر أمراء لبنان ، وقد صرف الامير علي المعني لاجل اصلاحها « خمسة الاف غرش » وكان يرغب فيها لقربها ولتوسطها بين مقاطعاته[5] .

---

١) الصفدي : تاريخ الامير فخر الدين المعني (طبعة اسد رستم وفؤاد البستاني) بيروت، ١٩٣٦ ، ص ٦

٢) الصفدي : الكتاب المذكور ص ١٢

٣) الصفدي : ك . م . ص ٦٥

٤) الصفدي : ك . م . ص ٧٤

٥) الصفدي : ك . م . ص ٦٧

وقد اقتنى الشهابيون لهم « قيساريات » فيها. وكان اولهم، على ما نظن، الامير منصور سنة ١٧٤٤[١].

وسنة ١٦٥٦، استولى الاتراك على المدينة، وجعلوا لها والياً مستقلاً عن امير لبنان. ولكن الامير ملحم حيدر الشهابي، حاكم لبنان الجنوبي، لم يرقه وجود والٍ غريب في بيروت. فأمر الشيخ شاهين تلحوق، صاحب الغرب الاعلى، بان « يخرق » في اطراف المدينة، ففعل. فعجز الوالي التركي، ياسين بك، عن الحكم، وكتب الى عثمان باشا، بكلربكي صيدا، يخبره بالواقع. فعرض عثمان باشا ولاية بيروت على الامير اللبناني فقبلها من صميم قلبه سنة ١٧٤٩[٢]. وظلّت في يده ويد خلفائه حتى سنة ١٧٧٦ حيث انتُزعت المدينة من لبنان على اثر مساع هذه خلاصتها: قدم الى دير القمر احمد الجزّار هارباً من مصر سنة ١٧٧٢. فأشفق عليه الامير يوسف، حاكم لبنان، وجعله والياً من قبله على بيروت. فما لبث الجزّار ان انكر جميل اللبنانيين، محاولاً فصل بيروت عنهم والاستقلال بها. فحاصروه في المدينة، وساعدهم على ذلك ضاهر العمر، والمراكب الروسية. واضطروه الى الفرار والالتجاء الى ضاهر المذكور. ولكنه حظي سريعاً بالتفات الباب العالي، وعُيّن والياً على صيدا. فحاول مرةً ثانية الاستيلاء على بيروت. غير ان حسن باشا قائد الاسطول العثماني، اقامه منها بعد ان « زجره بالمقال »[٣]. ثم جاء الامير يوسف مصطفى ترامنلا، كاخية الجزّار، سنة ١٧٧٦ يطالب بالاموال الاميرية. فرفض الامراء اللمعيون مساعدة الحاكم على دفع ما ترتّب عليه. عند ذلك طلب الامير يوسف من مصطفى ترامنلا ان يأتي بعساكر الى بيروت لإحراق ارزاق اللمعيين. فاغتنم رسول الجزّار الفرصة، واخذ من الامير اللبناني صكّاً بتسليم بيروت. فخرجت من يد اللبنانيين[٤].

---

١) الامير حيدر احمد الشهابي: الغُرر الحسان في اخبار ابناء الزمان (طبعة اسد رستم وفؤاد البستاني)، بيروت ١٩٣٣ – ١٩٣٤، ص٣٤

٢) الامير حيدر: الكتاب المذكور، ص٤٠ و٤١

٣) الامير حيدر: ك.م. ٩٩–١١٧ ٤) الامير حيدر: ك.م. ١٣٠

اما بيروت هذه المساوخة عن لبنان فانها لم تكن على ما هي عليه اليوم من الاتساع . ورد في تاريخ الامير حيدر ان الجزّار اقترح على الامير يوسف الاجتماع به « قرب البلدة » فنزل الامير عند رغبته ، وقدم مع قليل من رجاله الى « المصيطبة المقاربة المدينة »[1].

هذا ، ومن جهة ثانية لما جاء الشاعر الفرنسي لامرتين بلادنا سنة ١٨٣٢ ، نزل في دار وجيه من عائلة الجبيلي . والمنزل لا يزال معروفاً ، وهو واقع في حي مار مارون ، شارع سعيد عقل . ويقول عنه لامرتين : « بيت منفرد على نحو عشر او خمس عشرة دقيقةً عن المدينة »[2].

وفوق ذلك وجدنا في معروض قدَّمه فرنسيس مسك الى قنصل انكلترة ، طالباً حماية ارزاقه الواقعة في « ضواحي بيروت » ، ان المعترض ، في تعداد ارزاقه هذه ، يذكر داراً له « بجانب بوابة يعقوب بزقاق البلاط » . وكان ذلك في ٣ تموز ١٨٤٠[3].

فكانت اذاً بيروت محصورة ضمن اسوارها المعروفة الى مدة قريبة بين « بوّابات » السراي ، ورجال الاربعين ، والدركة ، ويعقوب ، وادريس ، والصنطية ، والدبّاغة[4] . اما سائر الاحياء المهمة المأهولة اليوم ، ومنها البسطة نفسها ، فقد كانت لبنانية من جبل لبنان . . .

وفي سنة ١٨٢١ ، لما اضطرَّ الامير بشير الكبير الى هجر الجبل ، عيَّنه صديقه عبدالله باشا ، والي صيدا ، حاكماً على بيروت[5] . ثم سافر الامير بشير الى مصر . وبعد عودته الى الحكم في الجبل ، حدث ان مراكب غريبة جاءت الى بيروت تريد ان تنهبها . فخاف السكّان ، واستغاثوا بالامير اللبناني ، فأرسل اليهم ابنه الامير خليلاً ، فاستقبله ، في غابة الصنوبر ، متسلّم المدينة واعيانها محتفلين به شاكرين حمايته .

---

١) الامير حيدر : ك . م . ٦٩

٢) Lamartine, *Voyage en Orient*, p. 168

٣) اسد رستم : الاصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا ٥ : ١٣٦

٤) المشرق : ٢١ [١٩٢٣] ٥٨٢ ٥) الامير حيدر : ك . م . ٧٢٤

وظلَّ الامير بشير متخذاً مهمة الحماية على بيروت ، وان لم تكن تابعةً له رسمياً. ففي السنة نفسها ، بعد ان زال خطر المراكب الاجنبية، حوّل مسلمو بيروت غضبهم على المسيحيين ، ونهبوا محلاتهم . فاضطرَّ هؤلاء للإلتجاء الى الى الجبل. فتدخل الامير حاملاً عبد الله باشا على إنزال العقاب بالمعتدين. وكتب الوالي المذكور الى المسيحيين يطمئنهم ويطلب منهم ان يعودوا الى المدينة ، فلم يُذعنوا. فكتب اليهم الامير بشير بدوره ووعدهم بان تُعاد اليهم « ارزاقهم ومحلاتهم وحوانيتهم ومخازنهم » ، فلبّوا نداءه[1].

ولما استولى محمد علي باشا ، عزيز مصر ، على سورية ، سلّم حليفه الامير بشيراً مدينة بيروت بموجب « المرسوم المطاع الواجب القبول والاتباع » الموجّه من ابراهيم باشا الى مفتي بيروت ونقيب اشرافها وسائر علمائها. والمرسوم المذكور مؤرخ في ١ جمادى الاول ١٢٤٨ هـ. (٢٦ ايلول ١٨٣٢ م)[2].

ودارت بعد ذلك الدائرة على المصريين ، وعلى حلفائهم اللبنانيين ، وسقط الامير بشير من الحكم سنة ١٨٤٠ . واستولت الدولة العثمانية على بيروت ، وعيَّنت فيها والياً اصبح، في سنة ١٨٤٢ ، مرجعاً للقائمقاميتين اللبنانيتين الدرزية والمارونية . ثم أُلحقت بيروت بولاية الشام سنة ١٨٦٤ ، على انها جُعلت سنة ١٨٨٦ مركز ولايةٍ منفردة[3] ، بعد توسيع المدينة على نحو ما هي الآن.

فتكون بيروت منذ الفتح العثماني (١٥١٥)، الى اندحار المصريين (١٨٤٠)، ظلّت لبنانية مدة مائة وست وسبعين سنة. وكانت ، في باقي الاوقات ، تابعةً لولاية صيدا الملحقة بحكومة الباب العالي رأساً. ومتى قيل « بيروت » في ذاك العهد عُنيت المدينة القديمة المحصورة ضمن بوّابات السور . ولم تتبع بيروت والي الشام إلا مرةً واحدة من ١٨٦٤ الى ١٨٨٦ ، اي مدة اثنتين وعشرين سنة لا غير.

لهذا ظلّ البيروتيون ، بعد فصل مدينتهم عن لبنان ، يحنّون الى وطنهم

---

١) الامير حيدر : ك.م. ٧٨٠ و٧٨١

٢) أسد رستم : الاصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا ٢: ٤٦

٣) صالح بن يحيى : تاريخ بيروت (طبعة شيخو) : ص ٢٧٠-٢٧٦

الاصلي، ويلجأون اليه وقت الملمات. وقبل اعلان الحرب الكونية بسنة ونيف، في ١٢ اذار ١٩١٣، تقدم نواب بيروت في اللجنة الاصلاحية، السادة نخله التويني، ويوسف الهاني، وبترو طراد، وايوب ثابت، ورزق الله ارقش، وخليل زينيه، بمذكرة الى مسيو كوجه، قنصل فرنسة العام، يطلبون فيها إلحاق بيروت بلبنان[1]. وقد أعدمت الدولة العثمانية، في اثناء الحرب، احد موقعي هذه المذكرة يوسف الهاني.

## وادي التيم

هذا ما كان من امر بيروت. اما وادي التيم، ومنه حاصبيا وراشيا ومرج عيون، فقد كان يحكمه، منذ القرن الثالث عشر، الامراء الشهابيون[2]. وكان لهؤلاء الامراء علاقة وثيقة بالمعنيين، حكام لبنان، وقد خلفوهم في الحكم سنة ١٦٩٧.

كانت هذه المقاطعات تابعة لفخر الدين الكبير، امير لبنان. ففي سنة ١٦١٨، قبل عودة فخر الدين من ايطالية، عيّن ابنه علي الاميرَ علياً الشهابي مدبّراً لمرج عيون[3].

ولما جهّز فخر الدين عسكراً لمحاربة يوسف باشا سيفا، جمع رجال الشوف وكسروان، وكتب الى ابنه بان «يرسل الى الامير علي ابن الشهاب ليأتي برجاله اليه ثم يمشي بهم على اثر والده»[4].

وبعد مدة وجيزة، اختلف الاميران الاخوان: علي واحمد الشهابيان، فأرسل فخر الدين اليهما مشايخ من الشوف وفّقوا بينهما واعطوا حاصبيا لعلي وراشيا لاحمد[5].

---

١) «ايضاحات عن المسائل السياسية التي جرى تدقيقها بديوان الحرب العرفي المتشكل بعاليه» (نُشرت من قبل جمال باشا)، ١٣٣٢، ص ٤١ من النسخة العربية.
٢) الشدياق والعينطوريني وغيرهما.
٣) الصفدي: ك.م. ٦٣
٤) الصفدي: ك.م. ٧٤
٥) الصفدي: ك.م. ٨٤

وفي معركة عنجر (١٦٢٣) التي انتصر فيها خمسة آلاف لبناني على اثني عشر الف عثماني بقيادة والي الشام مصطفى باشا ، كان بجانب الامير فخر الدين ، الامير علي شهاب بجميع رجاله[1].

وكان من الطبيعي ، بعد تولّي بني شهاب على لبنان ، ان تكبر سلطة حاكم لبنان على وادي التيم . فاصبح الامير اللبناني مرجع انسبائه جميعهم ، سواء أكانوا في الشوف او في وادي التيم .

ففي سنة ١٧٧٤ مثلاً ، جاء الامير محمد الشهابي من راشيا الى الامير يوسف يطلب منه إنصافه وتوليته مع اخيه الامير منصور على راشيا . فلبّى الامير اللبناني طلبه وقسم بلاد راشيا بين الشقيقين[2] . وبعد ذلك بست سنوات (١٧٨٠) اراد الامير سيد احمد ان يزاحم اخاه يوسف على الولاية ، فاستحصل من الوزير محمد باشا ، والي الشام ، خلع الولاية على « بلاد وادي التيم الفوقانية والتحتانية »[3] . وغضب مرة الجزّار من الامير اسمعيل ، امير حاصبيا ، فكتب الى الامير يوسف بان يتولّى مباشرةً مقاطعة مرج عيون ، ففعل[4] . (١٧٨٣)

وقد تصرّف الامير بشير الكبير بوادي التيم تصرّف الحاكم بامره ، فولّى الامير اسعد ابن الامير سليمان على حاصبيا ، مكان الامير يوسف ابن الامير فارس ، سنة ١٧٩٠[5] . وبقي كذلك ، طول ايام حكمه ، يقيم في تلك المقاطعة من يشاء ، ولا يجرأ احد على مقاومته فيها . ففي سنة ١٨٢٦ قتل الامير فندي الشهابي عمه الامير منصوراً ، والي راشيا ، واستولى على املاكه . فغضب عليه بشير الكبير . فخشي الامير فندي بطشه ، وجاء اليه في دير القمر طالباً العفو ، فبلغ ما اراد ، وسلّمه الامير اللبناني الاحكام في راشيا[6] .

ثم فُصلت مقاطعة وادي التيم عنا ، بعد سقوط الامارة اللبنانية ، وأُلحقت

---

١) الصفدي : ك . م . ١٤٦
٢) الامير حيدر : ك . م . ١٠٥
٣) الامير حيدر : ك . م . ١٣١
٤) الامير حيدر : ك . م . ١٣٥
٥) الامير حيدر : ك . م . ١٥٠
٦) الامير حيدر : ك . م . ٧٨٥

بولاية دمشق. وقد فكَّر اعضاء اللجنة الدولية المجتمعة في بيروت سنة ١٨٦١، باعادة هذه المناطق الى لبنان. ومندوب انكلترة نفسه، رغم مقاومة دولته للبنان آنذاك، اقترح ضمّ حاصبيا وراشيا ومرج عيون الى «القائمقامية المسيحية». ولكن الاقتراح سقط، مع سائر اقتراحات المندوب الانكليزي في تجزئة لبنان الى ثلاث قائمقاميات: مارونية، ودرزية، وارثوذكسية[١]. فتكون منطقة وادي التيم، والحالة هذه، ظلّت حتى ١٨٤٠، مدة قرون، في حكم الامراء الشهابيين الخاضعين، في اكثر الاحيان، لانسبائهم ولاة لبنان من معنيين وشهابيين.

## بعلبك والبقاع

اما بعلبك فقد كان يحكمها الامراء الحرافشة، ويراقبهم وزراء الدولة العثمانية في دمشق[٢]. وكانت البقاع من المقاطعات «الملكانية»، اي التابعة للولاة الترك. ولكن امراء لبنان تولوا فعلاً عليها اذ كانوا يضمنونها. وها ان فخر الدين عيّن حاكماً عليها كاخيته الحاج كيوان سنة ١٦٢٣[٣].

ولما اراد الوزير العثماني مصطفى باشا، والي الشام، ان يدافع عن الامير يونس الحرفوش، صاحب بعلبك، ضد فخر الدين، جهّز هذا الاخير عسكراً وسار الى نبع عنجر، في البقاع، حيث تلاقى الجيشان: العثماني واللبناني. فظفر اللبنانيون، وولى خصومهم مدبرين. وأسر الوزير مصطفى باشا يوم الاربعاء ٨ محرّم ١٠٣٣ هـ. (١ تشرين الثاني ١٦٢٣) وتابع الامير اللبناني سيره المظفّر حتى وصل مدينة الشمس فحاصرها حصاراً شديداً. وفي ١٠ ربيع الثاني ١٠٣٣ جاء رسول السلطان مراد حاملاً الى فخر الدين خلع الولاية باسم ابنه علي[٤].

١) Jouplain, *La Question du Liban*, p. 461

٢) العينطوريني والشدياق وغيرهما

٣) الصفدي: ك.م. ١٣٨

٤) الصفدي: ك.م. ١٦٦ وما قبلها.

وسنة ١٧٤٨ ، تسلّم الامير ملحم ، حاكم لبنان ، مقاطعة البقاع ، وولّى عليها اخويه منصورًا واحمد. ثم رام والي الشام ، اسعد باشا ، استرجاع البقاع. ولكن اللبنانيين احتفظوا بها. فوقع الخلاف بين الدولة العثمانية والامير ملحم، وجرت معركة بين الفريقين في برّ الياس انتصر فيها اجدادنا . والمؤرخ الامير حيدر يقول ان ملحماً « رجع بعد ذلك الى دياره. وعليه من النصر علامات . وبين يديه من السعادات رايات . فعلت همته. وعظمت هيبته. ودخل اسعد باشا الى دمشق مكسور العزيمة. موشحاً من الذل ثوب الهمة الذميمة ».

وبعد الاستيلاء على البقاع ، اتخذ الامير ملحم السانحة ليُثبت سلطته ايضاً على بعلبك ، فسيّر اليها جيشاً طرد منها الامير حيدر الحرفوش ، لانه كان موالياً للترك ، وولّى اللبنانيون مكانه اخاه الامير حسناً[1].

والامير يوسف ، ابن الامير ملحم ، كتب بدوره الى عثمان باشا المصري ، والي الشام ، ليفوّض الى اخيه الامير سيد احمد ولاية البقاع ، فرضي الوزير. واستوطن الامير سيد احمد قبّ الياس ، وعمّر تلك القرية ، وحصّنها ، وجهّزها بالمدافع والآلات الحربية . وظنّ عثمان باشا ان في امكانه استرجاع البقاع ، فوجّه عسكرًا الى برّ الياس . غير ان حظه لم يكن بافضل من حظ سلفائه . فان الامير يوسف انتصر عليه ، واستبقى البقاع لاخيه . ولكن الامير سيد احمد اراد الخروج على اخيه حاكم لبنان ، فتغلّب عليه اللبنانيون ، وتولّى البقاع الامير يوسف بنفسه سنة ١٧٧٤[2].

وكان الامراء الحرافشة يعترفون بسلطة أمراء لبنان عليهم. ففي سنة ١٧٧٤ توفي الامير حيدر الحرفوش فورثه في الحكم اخوه مصطفى . ولما اراد الامير درويش ، ابن حيدر ، ان يزاحم عمه جاء الى الامير يوسف يتوسّل اليه طالباً لنفسه الولاية. فرفض الامير اللبناني طلبه اولاً ، ثم عاد فقسم ، بناء على رجاء الشيخ ضاهر العمر صاحب عكا ، بلاد بعلبك بين النسيبين المتزاحمين[3] .

---

١) الامير حيدر : ك.م. ٣٨

٢) الامير حيدر : ك.م. ١٠٤ و١٠٥

٣) الامير حيدر : ك.م. ١٠٦

وسنة ١٧٨٢ ، ارسل الامير يوسف عسكراً الى بعلبك ، بقيادة المؤرخ الامير حيدر والامير بشير قاسم الذي اشتهر فيما بعد بالولاية . فعزل اللبنانيون الامير مصطفى الحرفوش عن حكم بعلبك ، وولوا مكانه إخاه الامير محمداً [١].

وسار الامير بشير الشاني الكبير على منهج سلفه في السيطرة على بلاد بعلبك . فانه ما كاد يستلم الاحكام في لبنان حتى عزل الامير جهجاه الحرفوش ، ووضع مكانه الامير قاسم ابن الامير حيدر الحرفوش سنة ١٧٨٩ [٢].

وان في تاريخ الامير حيدر الشهابي عبارةً بليغة في صلة البعلبكيين بلبنان. اسمع كلام المؤرخ في اخبار السنة ١٢٣٧ هـ. الموافقة للسنة ١٨٢١ م : « ثم رجع عسكر الامير بشير من بلاد بعلبك الى قرية الهرمل لاجل طرد الامير سلطان واخوه الامير امين الحرفوش والشيخ حمود حماده الذين كانوا تظاهروا في الخيانة مع بيت حماده حين كان الامير في بلاد حوران . » [٣] وظاهرٌ ان المؤرخ ، في قوله هذا ، لا يجعل اقل فرق بين بيت حماده ، اصحاب المنيطرة ، وهي من مقاطعات بلاد جُبيل ، وبين الامراء الحرافشة ، اصحاب بعلبك ، بل يصف مقاومة الفريقين لامير لبنان بالخيانة.

وكذلك البقاع بقيت في يد الامير بشير يتصرّف بها تصرّفه في الشوف وكسروان ، فيمنع حيناً اهالي المتن من الاقامة او المرور بارض البقاع وزحله (١٨٠٥) [٤].

والشيخ ناصيف اليازجي يُعدّ ، في رسالته التاريخية ، البقاع من جملة مقاطعات جبل لبنان كالمتن وبلاد جُبيل (١٨٣٣) [٥]

وهناك حادثتان رائعتان تأيدت بهما سيادة الامير بشير على البقاع وبعلبك باجلى مظهر . اما الاولى فجرت سنة ١٨٠٩ ، اذ اراد يوسف باشا ، والي الشام ،

١) الامير حيدر : ك . م . ١٣٤
٢) الامير حيدر : ك . م . ١٥٠
٣) الامير حيدر : ك . م . ٦٦٢
٤) الامير حيدر : ك . م . ٤٢٧
٥) الهلال : ١٣ [١٩٠٤ – ١٩٠٥] ٥١٥

ان يستولي على البقاع . فرفض اللبنانيون قبول طلبه ، واستعدوا لمنازلته . وساعدهم سليمان باشا ، والي صيدا ، ورفع الامر الى الاستانة ، فعزلت يوسف باشا ، وعيّنت مكانه سليمان باشا . فسار هذا برفقة الامير وعسكر لبنان الى دمشق ففتحوها عنوة ، وطردوا يوسف باشا . وبعد ان أيد الامير بشير مركز الوالي الجديد في دمشق ، و« تمّم جميع ما يلزم من النظام » ، ترك المدينة ، « ورجع الى بلاده بالعز والنصر . » وفي هذه الواقعة يقول المعلم نقولا الترك ، شاعر الأمير ، قصيدة طويلة مطلعها :

عرا الكونَ خطبٌ هوله لا يقدّر اثارته اوغادٌ من البدو فُجّرُ

ومنها ، بعد ذكر انتصار الامير بشير :

بهذا يجازى من يخاصم اميرنا ومن يسعى طرق البغي لا بدّ يغثرُ

...

وذاع الثنا لاميرنا الفاتح الذي له نخوةٌ عن وصفها اللسن تقصرُ(١)

واما الثانية فجرت في صفر ١٢٣٧ (١٨٢١) اذ جاء حسن اغا العبد ، حاكم البقاع من قبل الوالي العثماني الى عتيق فطرده اهلها . فسرق الطرش (ثمنه ٨٧٠ كيساً) الخاص باهالي الجبل وساقه الى دمشق . فأمر الامير بشير الجبليين الموجودين في تلك الناحية ان يرحلوا الى زحلة ، واستعدّ لارسال عسكر الى ولاية دمشق . فقبض درويش باشا على اللبنانيين الموجودين في ولايته وعيّن محمد اغا يوزو حاكماً على البقاع ، وارسل معه ٢٠٠ خيال « فاعرض الامير الى عبدالله باشا عن تجرّي باشة الشام على قرايا البقاع وارسل عسكره » ، فوعده بالمساعدة . وارسل الامير ابنه الامير خليلاً بعسكر الشوف الى البقاع . ولدى وصولهم فرّ محمد يوزو من وجههم ، عائداً الى مولاه في دمشق .

فعرض درويش باشا على الامير أن يضع الشروط التي يراها للصلح . فاجاب طالباً :

١ً رفع الضبط عن بعض قرى البقاع الخاصة ببيت جنبلاط .

٢ً ان يكون حاكم البقاع تابعاً للامير اللبناني « كما كان قديماً » و « يرفع

---

١) الامير حيدر : ك . م . ٥٥٠، ٥٥٩ -- ٥٦٢

زود المطاليب المستجدة على رعايا البقاع ».

٣ً ان يختار الامير اللبناني حاكم وادي التيم من بيت شهاب فيكون تابعاً له.

٤ً ان يعين الامير بشير الامير الحرفوشي لحكم بعلبك « لاجل رفع المظالم عن رعايا تلك البلاد »[1].

ولم يتمتع اللبنانيون، في ساعة من الساعات، عن بعلبك والبقاع بعد استيلاء الاتراك عليها سنة ١٨٦١. فان داود باشا، اول متصرف على لبنان، ضمن البقاع من الباب العالي وسمّى عليها قائمقاماً من قبله خورشيد بك، والد اسعد بك خورشيد المقتول في بيروت في ٧ نيسان ١٩٢٢. على ان الدولة العثمانية استعادت البقاع في عهد رستم باشا (١٨٧٣—١٨٨٣).

اما اهالي تلك المناطق فاسمع ما يقول قنصل فرنسة في دمشق عن مساعيهم. نقتطف الفقرة التالية من رسالة مؤرخة في ١٥ كانون الثاني ١٩١٣ موجهة من « القنصل العام المكلّف بالقنصلية الى فخامة السيد بومپار :

« لي الشرف بان احيط فخامتكم علماً اني استقبلت مرتين، في بحر الاسبوع الماضي، وجيهاً ذا نفوذ واسع في بعلبك، هو نخله باشا مطران، وقد كان منذ سنتين امينا للسر في السفارة العثمانية ويعرف الكثيرين من رجال سياستنا. وهو ينتمي الى طائفة الروم الكاثوليك... قال لي: ان الحالة الحاضرة لا تطاق. اننا عازمون على الحصول على ضم بعلبك وسهل البقاع الى لبنان، واليه يرجعان جغرافياً. نحن في حاجة، في ذلك، الى مساعدة وحماية الحكومة الافرنسية. اننا جميعاً، من مسلمين ومسيحيين، متفقون لان نتوصل الى هذا الامر. ونعرف كيف نتغلب على المعارضة العثمانية اذا حصلت. فان قسماً من اهالي بعلبك مؤلف من عصاباتنا، وللمدينة موقع فريد: فهي مفتاح سورية الداخلية وطرقها. ان الزعيم الشيعي، اسعد بك حيدر، وهو الرجل الاكثر نفوذاً في المنطقة، وعبد الغني الرفاعي، زعيم المسلمين، عازمان معي على إلحاق بلادنا بلبنان سواء أرضيت تركية ام لا. وقد اتفقنا على الذهاب الى بيروت لمحادثة

---

١) الامير حيدر : ك.م. ٦٩٨

السيد كوجه بشروعنا ، لان حضرته يهتم خصوصاً بما له صلة بلبنان . ولكن رأيتُ من واجبي ان احادثكم ايضاً بها باسمي، وبالنيابة عن اسعد بك وعبد الغني ، لان بعلبك داخلة في دائرة اعمالكم »[١].

ان هذه القطعة ، واستشهاد تحلة باشا في كانون الثاني ١٩١٥ على افظع صورة عرفها تاريخ الهمجية ، يكفيان في نظرنا لإثبات حقوق لبنان على البقاع وبعلبك ، وللتعبير عن عواطف اهالي تلك الاراضي الطيبة نحو وطنهم العزيز .

## منطقة صيدا

كانت امارة فخر الدين ممتدّة جدًّا من الناحية الجنوبية . فالمؤرخ الصفدي يلقّب دائمًا امير لبنان « بامير لوا، صفد »[٢] ، وكثيرًا ما كان ممثلو الباب العالي يجدّدون للامير خلع الولاية على صيدا . نذكر من هذا القبيل تسليم الصدر الاعظم مراد باشا « سنجقية صيـــدا وبيروت واغزير » للامير علي ابن الامير فخر الدين سنة ١٦٠٨[٣].

وكان فخر الدين ، او ابنه علي اثناء غياب الاول ، يولّي اناساً من قبله على صيدا وسائر مقاطعات الجنوب. ولما اراد احمد حافظ باشا اغتصاب صفد من لبنان ، وعيّن والياً عليها حسين اليازجي ، اضطرّ العسكر اللبنانيُّ الواليَ المذكور الى الفرار. واستعاد الامير علي صفد ، فولّى عليها « مصطفى كتخدا » ، وسلّم صيدا لطويل حسين « وصرّفه في جميع بلادها وصرّف عمه الامير يونس في بلاد بني بشاره »[٤] ، والبلاد الاخيرة من مقاطعات جبل عامل .

وعندما عاد فخر الدين من اوربة، سنة ١٦١٨، اقبل اليه في عكا جميع مشايخ جبـــل صفد وجبل عامل وصيدا « حضروا الى عكا وقبّلوا اياديه » ،

---

١) كتاب جمال باشا المذكور . انما عوّلنا في تعريب الرسالة على النسخة الافرنسية ص ٤١ – ٤٢ ، لارتباك الترجمة في النسخة العربية ص ٣٣

٢) الصفدي : ك . م . ٥

٣) الصفدي : ك . م . ٦

٤) الصفدي : ك . م . ٦٢

ويتابع المؤرخ : « وكان يوم دخوله الى صيدا يوماً مشهوداً »[1].

واستغلّت الدولة العثمانية تضعضع لبنان على اثر سقوط فخر الدين، فاستولت على مقاطعاته الجنوبية، ومنها صيدا حيث جعلت، سنة ١٦٦٠، مركزاً لولاية واسعة. ولكن في سنة ١٦٩٨، عجز الوالي التركي عن حكم جبل عامل، فولّى عليه الأمير بشيراً الاول. فتقدم الامير اللبناني الى المقاطعة العائدة، وتغلّب على الثائرين و « رجع الى دير القمر مايداً منصوراً »[2]. ثم عاد الاتراك بعد مدة قليلة فاغتصبوا جبل عامل ثانية.

وفي السنة ذاتها (١٧٠٥)، طلب الامير حيدر الشهابي من الوالي المذكور ولاية بلاد بشارة لتأديب اصحابها بني علي الصغير. فتأثر الباشا بهدايا الامير، ورضي بولاية حاكم لبنان على تلك المقاطعة. فسار الامير حيدر بعسكره الى النبطية، وظفر فيها ببني علي الصغير، وولّى من قبله على بلاد بشارة الشيخ محمود ابو هرموش، من الشوف، « ورجع بعد ذلك الى دير القمر منصوراً مظفراً يصحبه العز والتأييد »[3].

توفي الامير حيدر سنة ١٧٣٠، فرفع بنو علي الصغير رأسهم وشمتوا به، فاغتاظ منهم الامير ملحم، ابن الامير حيدر، ووريثه، واستحصل على خلع الولاية على ديار بشاره، وسار على بني علي الصغير. وفيما هو سائر عليهم قدم اليه سلمان الصعبي، صاحب مقاطعة الشقيف، طالباً منه الامان. ولما تغلّب الامير ملحم على اعدائه، ولّى على بلادهم من قبله سلمان الصعبي المذكور، ثم اعاد الولاة السابقين حكاماً بالنيابة عنه (١٧٣١)[4].

واصبح لبنان بعد ذلك ملجأً لاهالي جبل عامل. ففي سنة ١٧٩٩ مثلاً، لما سافر بونابرت بالجيوش الافرنسية الى مصر بعد حصار عكا، خاف العامليون من انتقام الجزّار لمساعدتهم الافرنسيين، فجاءت وفودهم الى الامير بشير الكبير في دير القمر تطلب حمايته[5].

١) الصفدي : ك.م. ٧٠
٢) الامير حيدر : ك.م. ٥ و٦
٣) الامير حيدر : ك.م. ٨ و٩
٤) الامير حيدر : ك.م. ٢٩
٥) الامير حيدر : ك.م. ١٩٢

وفي المدة ذاتها قدم من الاستانة الصدر الاعظم يوسف ضيا باشا لمحاربة الافرنسيين . فارسل الامير بشير ، للسلام عليه ، في قره مرط ، الشيخ حنا الدحداح والشيخ حسّون الورد ابن شيخ عقل الدروز . فاستقبلهما باكرام ، ووعد الامير بالخير . وفعلاً ، بعد ما قبض مبلغاً من المال ، ارسل الى الامير بشير خلّع الاحكام على « جبـل الدروز (اي الشوف والمتن وكسروان) ووادي التيم وبعلبك وبلاد المتاولة والبقاع وبلاد جبيل . يكونوا مالكانات له لا يرجعوا لتحت يد الدولة . ولا يكون الى الباشاوات عليه تسلُّط . بل اموال الميريه تتورد منه الى الخزينة العامرة كما كانت في زمان ابن معن »[١].

وكان من الطبيعي ان ينتزع الجزّار جبل عامل من اللبنانيين . ولكن محمد علي ، وابنه ابراهيم باشا ، اعادا الى الامير بشير صيدا وصور وكل ايالة صيدا ، جاعلين « جميع المتسلمين واصحاب المقاطعات تصرفهم من يد الامير امراً ونهياً »[٢].

وهذا ما يقوله الشيخ ناصيف اليازجي في رسالته المكتوبة سنة ١٨٣٣ لدى كلامه عن البلاد اللبنانية : « وهذه البلاد اعظم بلاد المشاير قدراً واشدها بأساً واكثرها اشرافاً واوسعها بقعـة وحاكمهم اكبر حكام المشائر وكلهم ينتمون اليه ويعظمونه ولاسيما اصحاب جبل عامل ووادي التيم وبعلبك فانهم يعتبرونه كحاكم عليهم ولا يصدرون في العظائم الّا عن امره »[٣].

ثم استولى الاتراك ، بعد عودتهم ، على الجنوب ، كما استولوا على جميع المناطق المتممة للبنان (١٨٤٠) . وقد حاول اللبنانيون ، مع داود باشا ، ان يوسّعوا حدود حكومتهم الممتازة في الجنوب ايضاً . وقدّم اهالي صيدا بالاجماع معاريض طالبين إلحاقهم بالجبل اللبناني . وشدَّد داود باشا في الامر حتى قدّم كتاباً الى البـاب العالي يطلب فيه إما تحقيق رغائب اللبنانيين وإما قبول استقالته . فاختارت الدولة المخرج الاخير[٤].

---

١) الامير حيدر : ك . م . ١٩٥ ، وتاريخ روفايل كرامه ( طبعة المطران قطّان ) ٥٧ أ

٢) الامير حيدر : ك . م . ٨٢٢،

٣) الهلال ١٣ [١٩٠٤ – ١٩٠٥] ٥٢٠

٤) George-Samné, *La Syrie*, 1920, p. 213

وبقيت هذه المنطقة تابعة ولاية بيروت الى نهاية الحرب الكونية. ولم تتبع ولاة الترك في دمشق الا مرةً واحدة، مثل بيروت، من ١٨٦٤ الى ١٨٨٦، اي اثنتين وعشرين سنة لا غير، بينما ظلّت اربعة قرون كاملة في اخذ وردّ بين امراء لبنان ووزراء الدولة العثمانية في صيدا.

## منطقة طرابلس

بقي علينا الكلام في منطقة طرابلس، ومنها عكّار، والضنّية.

كانت عكار مقاطعةً خاصة آل سيفا «حكام غزير». وتولّى بعدهم عليها آل حمادة، اصحاب بلاد جُبيل في القرن السابع عشر؛ اخيراً استقرّ الحكم فيها للمراعبة. والأُسر الثلاث ورد ذكرها في تاريخ العينطوريني (١٨١٩) في بابٍ هذا عنوانه: «اصل الامراء والمشايخ في لبنان»[1].

وفي الحروب التي وقعت بين فخر الدين الكبير ويوسف سيفا، والي طرابلس، دخل العسكر اللبناني مراراً ارض عكار. وقد منع فخر الدين خصمه من ان يبني في هذه المقاطعة حصوناً. ولما خالف ارادته، ذهب الامير الى عكار، وارسل مع الامير سليمان سيفا، ابن اخي يوسف باشا، رجالاً ليحاصروا سكمانية الوالي في «حارات عكار». فطلب السكمانية الامان واستسلموا. فهدم فخر الدين جميع «الحارات» التي جدّدها عدوّه، وابقى في عكار الامير سليمان سيفا مع «خمسة باوكباشية من باوكباشيته»[2] (١٦٢٠).

وفي ١٦٢٣ عُيِّن عمر باشا والياً على طرابلس، فرأى، لدى وصوله اليها، ان يساير فخر الدين، فوجّه اليه خلع الولاية على عكّار والضنّية، طالباً منه عشرة آلاف غرش. فأرسل له الامير خمسة عشر الف غرش. ثم ذهب بنفسه الى طرابلس فاستقبله، في مرج البحصاص، عمر باشا، وقاضي طرابلس، وجميع اعيانها، ودخلوا به مدينتهم عزيزاً مكرّماً[3].

وظلّ اصحاب عكار والضنّية يتصرّفون، في مناسبات شتّى، تصرّف المعترفين

---

١) العينطوريني: في «المشرق» ٣ [١٩٠١]: ٧٢ وما يليها.

٢) الصفدي: ك. م. ٩٧

٣) الصفدي: ك. م. ١٢٢–١٢٣

بسلطة امراء لبنان عليهم . نورد مثالًا على ذلك ما جاء في تاريخ سنة ١٧٧٩ للمينطوريني، لدى كلامه عن حصار الجزّار لمدينة جُبيل: « والعسكر الذي كان داخل جبيل كان عقيدة الامير حيدر اخو الامير يوسف . ومعه داخل الحصار الشيخ عثمان شديد بعسكر عكار ومشايخ بيت رعد بعسكر الضنّية ومشايخ بيت ضاهر ومشايخ بيت الدحداح برجال بلد جُبيل والفتوح ومشايخ الجبّة ومشايخ الكوره بيت العازر وكامل رجال مقاطعات المذكورين. »[1]

نرى من هنا ان المؤرخ العائش في المحيط اللبناني، في عهد الامير بشير الكبير، لا يميّز بين بيت رعد وعثمان شديد، وبين البيوتات المعروفة بلبنانيتها؛ ولا بين عكار والضنية، وبين مقاطعات لا جدال في لبنانيتها ايضاً . وكان بيت رعد والمراعبة يشتركون في بعض الحزبيات اللبنانية . ففي ١٧٩٦ تظاهر فاضل الرعد، حاكم الضنية، بتأييد اولاد الامير يوسف، وساعدهم على الامير بشير[2].

وكانوا يلجأون في الملمّات الى امراء لبنان. في سنة ١٨٣٢ خاف محمود بك وابراهيم بك الاسعد من ابراهيم الباشا المصري فما احتميا إلا بالامير خليل ابن الامير بشير الكبير، فطمأنهما[3].

من هؤلاء اللبنانيين، بني سيفا والرعد والمرعب (شديد والاسعد)، كان كثيرون من ولاة طرابلس. واشهرهم: يوسف باشا سيفا (١٥٩٠–١٦٢٤) وعلي باشا الاسعد (١٨٢٥) وعثمان باشا شديد، ومتسلّم طرابلس فاضل الرعد (١٧٩٥)[4].

وقد جرت بين الاول، يوسف باشا سيفا، وبين فخر الدين الكبير، حروب كثيرة . وكان امير لبنان يفوز دائماً، فاصبح الطرابلسيون يخافون منه خوفاً شديداً . ففي ١٦١٩، توجّه فخر الدين الى البترون لمناظرة احوالها، وما كاد يعرف ابناء الفيحاء بتوجّه الامير شمالًا حتى هبطت افئدتهم، وركضوا الى القلع والابراج يتحصّنون فيها. . . ولم يستعيدوا صوابهم الا عندما

---

١) المينطوريني : مخطوطة المكتبة الشرقية N° 47، ٤٥

٢) الامير حيدر : ك.م. ١٨٠ ٣) الامير حيدر : ك.م. ٢٠ و٤١

٤) الامير حيدر : ك.م. ٧٦٢ و١٢٥ و١٨٠

تحققوا ان الامير لم يقصد مدينتهم[1].

واشتدّت العداوة بين الامير والباشا . فارسل الاول كاخيته الى الاستانة ليطلب ولاية طرابلس ، إما له ، وإما لاحد انصاره ، حسين باشا الجلالي . فنجح الكاخية في مسعاه ، واستحصل على خلع الولاية لحسين باشا . ولكن يوسف باشا استدرك الامر ، فتصالح والامير ، واتفقا على ان يتزوج الامير علي ابن فخر الدين ابنة يوسف باشا ، والامير بلك ابن يوسف سيفا ابنة فخر الدين[2]. فبقي يوسف باشا في مركزه (١٦٢٠).

ثم اختلف الرجلان من جديد. واستحصل فخر الدين من الباب العالي اوامر بمطالبة يوسف باشا بالاموال الاميرية . ولما ابطأ الوالي عن الدفع ، سار الامير اللبناني بعسكره الى طرابلس ، واستولى عليها. ويقول المؤرخ : « وبعد ذلك عاد الى طرابلس منصوراً وما عاد احد خرج من الجماعة التي في الابراج لانكسارهم وذلهم التي حصلت لهم . » (١٦٢١)[3]

ورأينا اعلاه كيف ان عمر باشا ما كاد يعيّن والياً على طرابلس حتى شعر بضرورة الحصول على صداقة امير لبنان فأعطاه عكار والضنية.

وظلّ لامراء لبنان شأن في حوادث طرابلس وتأثير على ولاتها ، سواء أكانوا غرباء ام لبنانيين . ففي ١٧٩٢ قبض خليل باشا ، والي طرابلس ، على محمد بك الاسعد من عكّار ووضعه في السجن. فاستنجد اخوه شديد بك بالامير قعدان الشهابي المتولي في تلك السنة شؤون لبنان . فجمع الامير رجالاً وتوجه الى البترون من حيث كاتب خليل باشا بشأن الاسعد، فأطلقه لقاء كفالة مالية[4].

وقد تمشّى الامير بشير الكبير على سياسة سلفائه في التدخل بشؤون طرابلس . ولما هاج بعض اصحاب المقاطعات في ولاية طرابلس على الوالي مصطفى اغا بربر ، كتب هذا الاخير الى امير لبنان يطلب مساعدته « مظهراً له خلوص طويّته » ، فأجابه بشير الى طلبه واصلح له الحالة[5].

١) الصندي : ك. م. ٨٣
٢) الصندي : ك. م. ص ٩٠ و٩١
٣) الصندي : ك. م. ص ١٠١
٤) الامير حيدر : ك. م. ص ١٦٩
٥) الامير حيدر : ك. م. ص ٥٢٩

كانت اذاً منطقة طرابلس متصلة بلبنان اتصالاً وثيقاً. فان عكار والضنية خضعتا مراراً لامراء لبنان، وطرابلس نفسها كانت دائماً تحت تأثيرهم. فكان من اللازم لواليها ان يساير حاكم لبنان ويماشيه حتى يبقى في مركزه. ولم تتبع طرابلس ولاة دمشق قبل ١٨٤٠ إلا احياناً قليلة. وبعد ١٨٨٦ اصبحت متصرفية ضمن ولاية بيروت. وقد طالب بها داود باشا سنة ١٨٦٨ مع صيدا والبقاع.

***

هذه خلاصة ما وجدنا في تصفحنا للتاريخ. ولا بدَّ من الاشارة الى اننا لم نعثر على اية كلمة تشير الى وجود شيء يُسمَّى سورية كان في امكانه ان يزاحم لبنان على حدوده الجغرافية. وانما كان هناك وزراء عثمانيون في دمشق وفي صيدا، وامراء لبنانيون يحكمون بلادهم فيوسّعونها محاولين بجميع الطرق توحيدها، ويضطّرون احياناً للتخلّي، مرغمين، عن بعض المناطق. او بالاحرى كان فريقان لا ثالث لهما: لبنان بضعفه وايمان اهليه الوطني، والدولة العثمانية بقوّاتها من رجال ومال.

وما الاراضي المنضمّة الى لبنان، بعد الحرب، الا مناطق نعرفها وتعرفنا، كنّا، في كل حين، اذا فصلوها عنا، نبحث عنها وتعود الينا حرّةً كريمةً لبنانية. اما الحكم اللبناني فنترك الكلام في وصف آثاره لعالم جليل من علماء الاسلام، هو الشيخ احمد بن محمد بن يوسف الخالدي الصفدي، كاتب فخرالدين. فبعد ان وصف شقاء الديار الصفدية، قبل حاول فخر الدين فيها، قال ما يلي عن الامير اللبناني: « امنت به الطرقات. ونجت به النفوس من الهلكات.. وانقطعت بها اثار اللصوص. الذين كانوا ينصبون لاذى المسلمين فيها الشصوص. وعمرت البلاد. ورجع من كان نزح منها من العباد. وساد العدل في الرعية. ورضيت بأقواله وافعاله البرية... وازهت لذلك وربت. ومن كل زوج بهيج انبتت. واكتست رونق الحسن والجمال.. وهجم على اهاليها السرور والفرح... فعاشوا في ظله بعيش رغيد. ونسأل الله تعالى ان يديمه علينا الى يوم الوعد والوعيد. وما ذلك على الله ببعيد. »[1]

١) الصفدي: ك.م. ٢ و٣